

طه حسين ومنهجه النقدي من خلال حديث ((الأربعة))

هي أولى المقالات التي كتبت في تاريخ ((حديث الأربعة)) بالفصل . وهذا الفارق الزمني بين جزئي الكتاب ، والذي يزيد عن عشر سنوات يعطينا قدرا كبيرا من الحس بضرورة التأمل ودراسة تطور فكر طه حسين ، حيث يمكن القول بأن الجزء الأول الذي كتب قبل تساريف الإهداء كان تمهيدا لكتاب ((في الأدب الجاهلي)) ، وأن الجزء الذي كتب بعد تاريخ ((في الأدب الجاهلي)) لا يخلو من نوع الحوار بين المؤلف وأفكاره المطروحة في ((في الأدب الجاهلي)) .

ثم يختلف القسمان بعد ذلك إلى حد ما في منحى كل منهما ، والاختيار المطروح .

في العصر العباسي حاول د. طه حسين أن يصدم المتعارفات أو المقدسات فيما يتصل بالنواحي الاجتماعية ، فإذا كان العرب يعتقدون في عصره أن حياة العرب القديمة كانت طهرا خالصا فقد اختار من الحياة في العصر العباسي ما يكشف عن أن هذه الحياة كانت خليطا مضطربا من القيم الأخلاقية المتنوعة . وهو قد ركز في العصر العباسي على الفزليين الذين حرصوا على الفوائد الأخلاقية المألوفة التي كان المجتمع يظن أنها مألوفة شيه . حين تعرض لقسم الفزل في الكتاب حاول أيضا أن يشكك قدر إمكانه في الفزل العذري ، بينما اعتبر أن الفزل الأصلي المعترف به هو فزل عمر بن أبي ربيعة ، ليكشف حقا عن طبيعة الحياة في هذه الفترة .

وفي هذا القسم يبدو د. طه حسين مؤرخا وأديبا أولا وقبل كل شيء ، فهو لا يقف كثيرا عند النص الأدبي وإنما يقف حول موضوعات كان يعتقد أنها مرتبطة بتاريخ الأدب ، وهذه الموضوعات عديدة ومتنوعة .

حين يعرض لعمر بن أبي ربيعة مثلا يتساءل كيف يمكن أن يتناول هذا الشاعر بالدرس ؟ هل ندرس شعره باعتباره مرآة للحياة الاجتماعية في عصره ، أو باعتباره مظهرا من مظاهر الحياة الأدبية ، أم أن تبيين صورة المرأة الحجازية في ذلك القرن ، أم أن ندرس لفظة واسلوبه ومعناه ، أم أن ندرس عبث الرواة ، وإضافاتهم إليه ، أم أن ندرسه باعتباره مظهرا لشخصية عمر ، أم ندرس حب عمر بن أبي ربيعة ؟ ويخلص في النهاية إلى أنه سيركز على حب عمر بن أبي ربيعة ، وهذه صورة غير صورة القسم الأول الذي يركز فيه على لفظ الشعر ، معناه وصورته .

وإن هو قد تحدث في القسم الفزلي عن تاريخ الأدب أكثر مما

اشترك في الندوة : د. حسين نصار - د. عبد المنعم تليمة - د. عبد المحسن طه بدر . وقدمها إبراهيم الصيرفي . أعدتها للنشر أماني قنديل .



الصيرفي : في بداية الندوة نرجو أن يبدأ د. عبد المحسن طه بدر بالحديث عن هذا الكتاب .

د. بدر : يهدي د. طه حسين كتابه إلى لطف السيد رائد المدرسة التي نادت بمصر للمصريين والتي حاولت إدخال المناهج الجديدة في دراسة تراثنا العربي وفكرنا العربي بصورة عامة . والكتاب يعطي صورة من تفكير طه حسين ، وينبغي هنا أن نلاحظ أن صورة تفكير الرجل ليست دائما صفحة واحدة باستمرار ، ولكنها صورة تتعرض كثيرا إلى فعل ورد فعل .

وبرغم أن الكتاب مجموعة من المقالات التي يزعم المؤلف أنها متفرقة كتبت في ظروف مختلفة فإن الكتاب ككل يتسم بفكر طه حسين فيما ينصل بنظرته إلى التراث وأخصاه للنظرة العقلية التي لا تحاول أن تفرض عليه قداسة بل تبدأ من أخصاه للدرس والمناقشة .

غير أن الطبعة التي بين أيدينا تفتح أمامنا مجالا كبيرا للدراسة تفكير طه حسين وتطور هذا التفكير في إطار المنهج العام للمؤلف . الطبعة مهداة للأستاذ أحمد لطفى السيد في يناير سنة ١٩٢٥ ، ولكننا نلاحظ أن النصف الأول من الكتاب مقالات كتبت سنة ١٩٣٥ ، أما النصف الثاني من الكتاب فيضم مقالات كتبت فعلا قبل تاريخ الإهداء ، وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد - الذي يدعمه ما جاء في مقدمة الجزء الأول من الكتاب من أنه يتناول فيه شعراء عباسيين وأمويين ، ثم نجد في الطبعة التي بين أيدينا شعراء عباسيين ، وإنما جاهليين وأمويين - أقول يدفعنا هذا إلى الاعتقاد بأن الطبعة التالية من الكتاب قد حاولت أن ترتب مقالات الكتاب تاريخيا ، بمعنى أنها حاولت ترتيبه حسب العصور الأدبية المتعارف عليها عند دارس الأدب ، فبدأ بالجاهلي ثم الإسلامي والأموي ثم في الجزء الثاني العصر العباسي ، في حين أن المقالات التي كتبت عن العصر العباسي

(*) هذه الندوة أولى ثلاث نوات نشرها تبعا .

وقف أمام النص ، وهذا لا يمنع من اشارته الى نصوص . وفي هذا القسم حاول ان يصدم المواصفات الاخلاقية والادبية التي تعارف عليها الناس في عصره في نظرهم لذلك العصر .

وصل هذا الصدام الى قمته في العصر الجاهلي ، لانه يتيح الفرصة للصدام اكثر مما يتيح العصر العباسي أو الاموي ، ذلك ان العصر الاموي اكثره مكتوب ، اما في الادب الجاهلي فلم يكن ثمة شيء من هذا ، وهو ما يتيح للشك ان يجد صدى .

فيما يتصل بالقسم الاول نلاحظ أسلوب العرض ، وهو أسلوب يختلف عن أسلوب عرضه للقسم الثاني ، ذلك انه كتبه بعهد ان كتب كتاب « الايام » وكتب أيضا « دعاء الكروان » وكذلك « اديب » .

نلاحظ نزعة قصصية وحوارية لا تكرر في الجزء الثاني ، بل ان بعض المقالات في هذا الجزء تكاد تستغرق في الحوار الذي يذكرنا بحوار سقراط لتلاميذه ، فالقصيدة مروضه عرضا كاملا من خلال هذا الحوار الذي لا يدور بين طه حسين وشخص ما ولكن مع نفسه حين تنازعه نفسه الى الرجوع لموضوعات تاريخ الادب التي قدمها في الادب الجاهلي كمشكلات الشك والاقحام والامتحان ، يخرج هذا صاحب ليقول له : انا لا أريد التعرض لهذا ولا الاطالة فيه لان هذا موضوعه التدريس لطلبة الجامعة ، أما الآن فأريد ان افهم النص واتعمقه . وهكذا أتبع طه حسين في القسم الاول ان يركز تركيزا اشد على طبيعته كناقد ، وأن يعرض علينا صورة لنقده التطبيقية الذي لا يخرج عن صور النقد العربي القديم مطعما بالحديث . والواقع ان الرجل كان بارعا في تقديم النص الينا والى القارئ العربي ، وان كانت الدراسة النقدية التطبيقية متأثرة الى حد كبير بدراسة النقاد العرب وما زال يقسم الشعر الى لفظ ومعنى ، وان كان في ذلك يصل الى أقصى قمة يمكن ان يصل اليها ناقد عربي ، وقليل ما يتعرض لقضايا معاصرة في هذا القسم وان تعرض لبعضها مثل النقاش الذي طرح عن وحدة القصيدة وهل تمثل تلك الوحدة في الشعر الجاهلي . فالكثير من أدباء هذا العصر يزعمون ان الشعر الجاهلي يخلو من هذه الوحدة ، أما هو فيدرك ان ثمة وحدة معنوية بين أجزاء القصيدة الجاهلية ، وما يعنيه بالوحدة المعنوية هو ما يعنى الآن الوحدة الداخلية .

اذن لدينا في « حديث الاربعة » قسم يتجه لتاريخ الادب ولا يخلو من نقد ، وجزء يتجه للنقد ولا يخلو من الادب . . قسم يتجه الى الصدام المباشر مع المجتمع ، وقسم يحاول ألا يخلو بنفسه الى الصدام . وفي هذا وذاك من تاريخ الادب ونقده نجد بذورا لكثير من القضايا بل والاسس التي قام عليها الكثير من الدراسات الجامعية وغير الجامعية في تاريخنا الادبي المعاصر ، وهو شأننا مع طه حسين دائما .

الصيرفي : رأي د. حسين نصار .

د. نصار : اتفق مع د. عبد المحسن طه بدر في التقسيم الذي ادخله على الكتاب ، فهذا الجزء من « حديث الاربعة » يحتوي على قسمين مختلفين ، واتفق معه في التصوير الذي كونه عن القسم الثاني ، أما القسم الاول فأختلف معه بعض الاختلاف وان لم يكن كله . فهو يرى ان د. طه حسين ذهب في القسم الاول الى النقد ، واعتقد اننا لو قلنا بذلك نظلم طه حسين لاننا سنجد النقد قليلا وتقليديا كما ذكر د. بدر ، وانما اعتقد ان طه حسين ذهب في القسم الاول الى العرض وليس الى النقد ، وهو صريح في هذا الجزء اذ يقول انه يريد ان يترجم الشعر العربي للقارئ الحديث ، فهو يرى انه قد قامت حواجز متعددة بينه وبين الشعر العربي القديم والحديث ، وان هذه الحواجز تعتمد على أشياء كثيرة أهمها اللغة التي قيل بها هذا الشعر ، فاذا ما ضاق القارئ الحديث بهذه

اللغة وعاد الى بعض المراجع القديمة أو الحديثة لتعينه على فهم هذا الشعر لم يجد عوناً بل ربما وجد الصورة مشوهة في النوعين . ولذلك أراد د. طه حسين في هذا القسم ان يعرض الشعر القديم امام القارئ الحديث ويصل بينهما وصلا محكما ليستطيع القارئ الحديث ان يفهم الشعر القديم ويحسن تذوقه .

أما الفصول النقدية فجاءت متأخرة على العرض ، الدكتور طه حسين له تجربة مشابهة لهذه التجربة في كتاب « تأخر عسبن » (حديث الاربعة) هو كتاب « تجديد ذكرى ابي العلاء » . ابو العلاء معروف شهره بالصعوبة والحواجز التي تقوم من اللفظ واللزوميات ، وهذه تجعل هناك صعوبة امام القارئ الحديث و ابي العلاء . اجأ د. طه حسين الى هذه الطريقة في عرض شعره دون ان يعتمد على النقد وانما كان همه العرض وحده ، ولذلك نجد الدراسة في هذا القسم ضعيفة ، بمعنى انه ليس هناك دارس وانما هناك شراح مترجم ، أو كما قال عارض الشعر ، اما الدراسة الحققة فتظهر في القسم الثاني الذي درس فيه الغزل . وفي هذا القسم نجد د. طه حسين مترددا بين أمرين ، بين الانتحال والتصديق ، قسم شعسر الغزل الى ثلاثة اقسام : القسم التقليدي من مطالع القصائد وندخل هذا الجزء والثاني تماما بعد ان اشار اليه ، ثم قسم الغزل الى قسمين : الغزل الاباحي والغزل العذري ، وهو يرى الغزل العذري منسوباً الى نوع من الغزل وليس منسوباً الى قبيلة تسمى بهذا الاسم . اما الغزل الاباحي مثل غزل ابن ابي ربيعة وامثاله فقد وثق به ودرسه وافاض فيه ، واما الشعر العذري فهو الذي تردد فيه وتحيير فلا نستطيع ان نتبين له موقفا محددا ، هل ينكر هذا القسم تماما ، هل يثق به اطلاقا ، هل يقف في موقف متوسط ؟ لكنه عندما ينظر لهذا الموقف جملة يتضح الموقف ، فنحن نجد مثلا انه عندما يتكلم عن هذا الغزل يقول : ان المجتمع العربي في ذلك الوقت في البدايات خاصة كان مهياً تمام التهيئة لهذا الغزل ، لكنه عندما يتعرض لفرد فرد من اصحاب هذا الغزل نتبين انه يكسار برفض هؤلاء الافراد ، فكيف نوفق بين ذلك ؟ لا نستطيع ان نتبين هذا الموقف عند طه حسين . لقد أنكر مجنون ليلي وكان انكاره على حق لانه اعتمد فيه على ان قصة مجنون ليلي فيها اشياء متعارضة ، فيها ما ينكر الجزء الاخر منها ، ولكن عندما ينتقل من قصة مجنون ليلي الى قصة جميل بثينة او قصة قيس بن ذريح نجد ان موقفه يضطرب : القصة محكمة ويمكن ان تقع فعلا ولذلك نجدته متحيرا بعض التحير بل نجده احيانا يصل للقول ان الشعر حق في هاتين القصتين أما الاخبار فلا .

ما الاساس في الانكار او التصديق ؟ الدكتور طه لا يعطينا اساسا واضحا ، والمشكلة التي قامت عنده في قيس بن ذريح خاصة هي انها قصة محكمة تمام الاحكام ، والشاعر يدل على شخصية واضحة وسوية ، ومن هنا بدأ د. طه حسين عازما على انكار الغزلية العذرية ، ولكنه في قصة قيس بن ذريح لم يستطع انكارها على أسس سليمة فاضطر الى ان يقف موقفا مترددا غير واضح . اما جميل فقد وضعه بين مجنون ليلي وقيس بن ذريح . ربما كان موقفا في جهيل فقد انكر ما أنكر معتمدا على مجموعة من الحيل ، ووثق بمجموعة من الاشياء التي وثق بها لانها تكون شخصية سوية . اقول انه موقف متردد من الغزليين لا يعطي صورة واضحة من الانكار والاثبات . وعلى الرغم من كل ذلك ، فالدراسة واضحة وشيقة ممثلة للدكتور طه حسين مؤرخ الادب العربي .

حتى في غير « حديث الاربعة » ، الدكتور طه حسين ربما كنت اختلف معه في كثير من خطوات منهجه الدراسي ، فهو بحكم الظروف التي عاناها لا يستطيع ان يجمع أطراف المادة كلها ، لا يستطيع ان يعتمد على الاحصاء والاستقصاء ، من هنا يضطر للاعتماد على المرجع الاساسي للحديث الذي يؤرخ له ، ومن هنا افلنت من بين يديه مواد كثيرة ربما كانت تجعله يغير وجهة نظره

او اشياء او جوانب من نظره ، وذلك واضح ايضا في دراسته
للزليين ، ولكن الامر الجميل في د. طه حسين انه كان يستطيع
من خلال المادة الجزئية التي بين يديه ان ينفذ وان يكون هيكلادراسيا
سليما في جملته .

الصيرفي : نستمتع لرأي د. عبد المنعم تليمة .

تليمة : اشار الاستاذان لعلاقة التاريخ الادبي والنقد الادبي
في الجزء الاول من « حديث الاربعة » . وانا هنا سأحاول ان القى
نظرة على كتاب « حديث الاربعة » في النقد العملي ، بل انه اول
كتاب من النقد العملي في نقد الادب عامة ونقد الشعر خاصة ، والنظر
في النصوص تفسيريا او تقويما . وعلى الرغم من ان « حديث
الاربعة » كتاب من النقد العملي او التطبيقي فان جانب التاريخ
الادبي ليس قليلا فيه ، بل اكاد اقول ان جانب الدراسة الادبية
لا يقل في الكتاب عن جانب النقد الادبي والتاريخ الادبي بما فيه
ومع تداخل هذه الجوانب الثلاثة في الكتاب : النقد ، التاريخ ،
الدراسة . اذا اردنا للكتاب تطبيقا عاما في واحد من علوم الادب يقع
بصورة اساسية في ميدان النقد الادبي ، ففي ميدان النقد التطبيقي
على وجه الخصوص . ولكن قبل تناول هذه الناحية من « حديث
الاربعة » لا بد من اشارة سريعة الى اساس تاريخي وعاد د. طه
حسين جيدا ونبه اليه . انه يعي جيدا ان كتابة فصول متفرقة
نشرت في الصحف وجمعت في الكتاب لكنه يعي ان هذه الفصول انما
يقف وراءها حس تاريخي ومذهب محدد من مذاهب التاريخ الادبي
ومنهج واحد من مناهج الادب .

طه حسين يشير بجلاء الى انه في هذه الفصول يهدف لامرين
هما في ميدان من ميادين درسي الادب :

1) ميدان التاريخ الادبي ليؤصل منهجا يراه بالنسبة لتاريخ
الادب العربي .

2) ميدان النقد الادبي ليكشف عما يسميه كنوزا مجهولة في
ادبنا العربي القديم .

في الامرين معا يصدر د. طه حسين عن منهج واحد يقول :
صدرت هذه الفصول عن كاتب واحد ذهب فيها الكاتب مذهبها
واحدا .

في جانب التاريخ الادبي يأخذ طه حسين بمنهج النقد التاريخي
الذي يبرز العوامل الفاعلة في حياة الفكر وحركة الفن وينفي النظرة
التقليدية الى المجوس ويعني بالنظرة الفنية التقييمية فيه . يقول :
اعلم ان حياة القدماء كلها ملك للتاريخ .

ويعلم د. طه حسين كذلك التواصل الادبي التاريخي وينبه اليه .
يقول : نحب ان يظل ادبنا القديم اساسا من اسس الثقافة
الحديثة ، لانه صالح ليكون كذلك . وهكذا يضع طه
حسين واحدا من اسس التاريخ الادبي عامة ومن اسس
التاريخ للادب العربي خاصة ، بل انه يضع اصلا من اصول الثقافة
القومية لامتنا ودور المهود القديمة في ذلك . والاصل الذي يقوله
طه حسين لتاريخ الادب العربي واحد من اصول العلوم الانسانية
الحديثة في القرن الماضي واولئل هذا القرن ، وهو اصل لا يزال
الى حد كبير صالحا .

لكننا يمكن ان نختلف مع صاحب « حديث الاربعة » في بعض
النتائج التي انتهى اليها في هذا الاصل فيما يتصل بتاريخ الادب
العربي ، فقد انتهى مثلا الى ان العصر العباسي لم يقف عنده
طويلا . كان عصر شك وعيب ومجون وكان الشك والعيب اظهر
مميزاته . ولقد شاعت هذه النتيجة التي قال بها د. طه حسين في
كثير من تلاميذه ودارسي الادب العربي .

من وجهة منهجية لا يمكن ان نتفق مع منهج طه حسين نفسه ،
منهج النقد التاريخي ، على أية حال فان جدوى هذا المنهج تلمس
بصورة كبيرة في النقد التطبيقي وهو الجانب الاساسي في « حديث

الاربعة » . وسيثور كلامنا في هذا الجانب حول قصيدة طرفة بن العبد
التي وقف عندها طه حسين في فصلين من فصول « حديث الاربعة » .
ان منهج طه حسين الذي اشرنا اليه قد عصمه من ان ينظر له هذه
القصيدة نظرا فقها فحسب بل قاده الى شيء من النظر التاريخي
وان شئنا ان يضطلع المصطلح النقدي فان منهجه قد قاده الى شيء
من النظر الاخلاقي والتاريخي ، منهج في الدرس الحديث فسي
مجالات علوم الانسان والادب ، وعند طه حسين شيء من ذلك بقدر
معين في وقفته عند قصيدة طرفة ، فهو يحاول محاولة فيلولوجية
لو صحت العبارة نجد ما تبقى من شعر طرفة ومن الطبوع منه وعن
خير ديوانه في هذه القصيدة بالتحديد ، يبدأ بالتنبيه باننا ازاء
بقايا القصيدة ويحاول المقابلة بين الاجزاء المختلفة للقصيدة ليثبت
هذه الوجهة التي راها ، وبفض النظر عن قيمة هذه الوجهة فان
طه حسين كان منذ ه سنة عندما كتبها يضع بين يدي دارسي الادب
منهجا جديدا لعلهم .

وتتصل التاريخية بالاخلاقية اتصالا متينا : التاريخية فسي
التاريخ الادبي ، والاخلاقية في النقد الادبي ، والتاريخ والنقد
متجاوران في « حديث الاربعة » . والتاريخية تلقي بظلهما الواسع
والاخلاقية عند طه حسين في نفس وقفته عند قصيدة طرفة بن العبد
يقول :

ننظر فيها معا نظرة صد واخلاص للحق والفن جميعا . ويحدد
من القصيدة نفسها ما يسميه الواجب الاجتماعي عند طرفة ، فهذه
الشعر كما يراه طه حسين يؤمن بانه خلق لقومه قبل ان يخلق لنفسه ،
يحمل عنهم اثقال القبيلة كلها .

ثم يحدد طه حسين الفلسفة التي يعيها طرفة في قصيدته التي
يعتمد عليها في تفسير تلك الحياة التي كان يحيها والتي لم تكن
حياة عظام ولا نساء وانما مزاجا معتدلا من الجد والهوى والعمل
والفراغ كانت مقسومة قسمة عادلة بين ما ينبغي لقومه وما ينبغي
لنفسه من الحق عليه . وأهم من ذلك كله ان النظر التاريخي
والاخلاقي عند طه حسين يشران معا واحدة من الحقائق العلمية
المستقرة الآن في دراسة الاذواق والقيم بل المجتمعات والحضارات .
هذه الحقيقة التي استقرت وكانت جديدة عندما قال بها طه حسين
منذ ه سنة في ان القيم ثمرات لواقع تاريخي اجتماعي معين تتغير
بتغيره ، وان المثل الاعلى في الفن والحياة ان هو الاثمة لشرط
تاريخي معين .

يقول طه حسين في دراسته لطرفة بن العبد « قد جعل لحياته
اغراضا ثلاثة لولاها لا حفصل بالحياة ولما اهتم بها ، وهي : شرب
الخمر ، الحب ، نجدة المستغيث . ولو انه عاش في بيئة معقدة
غير البيئة التي عاش فيها او ادرك عصرا معقدا غير العصر السدي
ادركه لتغير مثله الاعلى في الحياة » .

ان طرفة لو عاش في بيئة غير التي عاش فيها او ادرك عصرا
غير الذي ادركه لكان مثله الاعلى في الحياة ارقى من هذه اللذات
اليسيرة . فواضح جدا ان قيمه العليا تتغير بتغير العصور ، فلو
عاش طرفة في بيئة غير بيئته او عصر غير عصره ، لكانت تغيرت
فلسفته نتيجة لتغير شخصيته . نلاحظ ان طه حسين يتحدث عن
البيئة والعصر حديثا فيه قدر كبير من الغزل الفضايف الضامض
عند فلاسفة القرن التاسع عشر ونقاده . وقد نلاحظ كذلك انه يجعل
شخصية الشاعر محصلة جامدة للشروط التاريخية ولعلنا الآن لا نفر
اطرافا من هذا النظر . لكنه كان في كل الاحوال جديدا في ثقافتنا
عندما قال به طه حسين منذ نصف قرن . غير ان التاريخية والاخلاقية
أبرز الامور في نقد طه حسين ، بل ان القراءة الفاحصة لهذا النقد
تجد جانبا تاريخيا لامعا . انه يبدأ التعامل مع معلقة طرفة بن العبد

ببداية تذكر باناتول فرانس . يقول طه حسين مفدا لوففته عنـد قصيدة طرفة :

((أحب قصيدة طرفة حبا شديدا واكبرها اكبارا لا حد له)) . ويقول موجها من يتعامل مع هذه القصيدة : ((والخير في أن تقرأ القصيدة من اولها لآخرها دون أن تتكلف فهما أو تحاول بمفا وأن تثبني اذا فرغت من هذه القراءة بما تتركه في نفسك)) .

لكن الحقيقة ان طه حسين يعني ان التأثيرية مرحلة اولى فحسب في العملية النقدية ، هي مرحلة يمكن أن تشير وأن تحفز على الفهم بل ينبغي ان تكون كذلك . يقول موجها من يتعامل مع هذه القصيدة : ((ما بال فراءاتك الاولى لم تثر حاجاتك الى الفهم)) . ومعلوم بعد ذلك ان طه حسين لم يقلت من النهج العربي القديم في التعامل مع النصوص الشعرية ، ومن حسن الحظ انه لم يقلت من ذلك النهج في تلك المرحلة المبكرة من نهضتنا ، هذا النهج جعل طه حسين حريصا حرص البلاغيين على وجود البيان العربي وحريصا حرص اللغويين على بيان العلاقات في طرائق التعامل وحريصا حرص النقاد على الموازنة وبيان التواصل في التقاليد الشعرية .

الصيرفي : نجد بعض الالتقاء وجوانب اخرى من الاختلاف ، من ذلك مثلا ما رآه د. عبد المحسن من تحليله لطه حسين ناقدا وشارحا ونسبة ما بين الشارح والناقد وتراوح هذه النسبة في اقسام الكتاب المختلفة ، ومن ذلك ايضا ما ذهب اليه د. نصار حول أدوات د. طه حسين كباحث واكتفائه ببعض المراجع الامهات ، هل هذا يرجع الى ظروفه ام لان وسائل البحث ووسائل المنهج ايضا قد نمست وما اذا اتجهت اتجاهها ما نتيجة لتطور علمي طرا في حياتنا ، الى غير ذلك مما تثيره الندوة من خلافات ولقاءات ؟

د. عبد المحسن : الواقع ان جانب اللقاء واضح في هذا العرض الغصب الذي تقدم به الاساتذة ، وحين يحدث خلاف أحيانا فانه يكون خلافا على استخدام المصطلح بمفهوم معين . القضية الاولى التي أثارها د. حسين نصار هو ان القسم الاول من الكتاب هو عرض فقط أو ترجمة للشعر العربي الى الفارسي وبالتالي ليس نقدا . وأزعم اني خشيت قليلا حين قال د. نصار ان هذا القسم ليس فيه دراسة حقة وان الدراسة الحقيقية تكاد تتركز في الفزل . والواقع اننا نختلف أحيانا في تفسير ما هو النقد ، بل ان شئنا الدقة فليس هنالك مذهب نقدي واحد في النظر الى النصوص يمكن ان يقال على اساسه ان هذا نقد . من مذاهب النقد : النقد التفسيري ، النقد التحليلي للنص ، وليس سرتا نند أصحاب هذا المذهب ان يكون هناك تقييم للنص لكي يصبح النقد نقدا . اذا أخذنا بمفهوم هذه المدرسة فان ما ذكره طه حسين عن الشعر الجاهلي يمكن ان يكون نقدا تحليليا أو تفسيريا . اما اذا أخذنا برأي من يرى ان العلمية التفويضية أساس كل ما ينسب للنقد فهنا يمكن ان نقول ان الرجل قد تعرض لعرض فقط ، والواقع انه من هذه النقطة نظم الرجل اذا تصورنا انه وقف عند الترجمة فقط لانه تعرض في المقالة الاولى الى قصيدة خطيرة ، لماذا يتوجب علينا ان ندرس هذا التراث الادبي الجاهلي . وما زلت اعتقد انه أجاب اجابة تجد صدى في نفوسنا حتى الآن ، فهو يقول ان هذه الدراسة واجبة لان الادب الجاهلي مقوم لشخصيتنا محقق لقوميتنا عاصم لنا من الفناء في الاجنبي معينا لنا ان نعرف انفسنا ، ولا بد لنا من التعرف على انفسنا ولا نظننا نختلف مع هذا الكلام الذي تعرض فيه للقسم الاول لضرورة قراءة او التعرض لهذه النصوص من التراث القديم .

بالاضافة الى ان بعض المحاضرات او بعض المقالات الموجودة في هذا القسم تكاد تتحول الى قضايا في تاريخ الانب ، فقد يستغرق الحوار فيها ثلاثة ارباع المقالة في محاورات في قضايا تتصل بتاريخ

الادب ، وفي آخر المقالة يعود الى هذا النقد الذي أسميناه الآن نقدا تفسيريا وتحليليا .

الصيرفي : النقد التفسيري يقف عند حدود اجلاء ما غمض من النص التفسيري بمعناه التحليلي الحديث . الواقع ان قلنا هذا في مقالات طه حسين تكون ظلمناه ، لانه بالنسبة للشعر الجاهلي ليس الامر شرحا فقط وانما محاولات للتقييم ووضع اليد خفيفة على مواضع الجودة والرداءة في هذا الموضوع بمعنى انه ليس نقدا تفسيريا بالمعنى السطحي وانما يحتوي ايضا على بعض التقييم ، انما انا أحب ان اشير الى موضوع آخر بالنسبة للدكتور عبد المنعم .

هو اشارة من مقدمة الكاتب ان هذه الفصول صدرت عن كاتب واحد ذي نظرة واحدة وانه لم يشر للمصر العباسي ، انا أحب ان أقول ان النظرة العامة مثلا صدرت عن كاتب واحد انما المقدمة التي اشار فيها لهذا اصلا لغير ما في يدنا من حديث مكتوبة بعد المقالات بزمن . بمعنى ان المقالات المنشورة التي قدمت لها المقدمة اصلا استغرقت عاما أو اثنين ، اما وقد تغير الوقت فواضح من المقالات هذا الفارق الزمني الكبير فان من حقنا ان ندرس تطور فكر كاتب وان كان داخل الاطار العام لمنهج هذا الكاتب .

هذه بعض الملاحظات التي أثرت وهناك غيرها اذا اتسع لها الوقت .

حسين نصار : انا اتفق مع د. عبد المحسن في الايضاح الذي أتى به ، اتفق معه في ان التحليل جزء من النقد . الدكتور طه حسين فعل ذلك . واتفق معه ايضا في انه قد اثار في داخل التحليل مجموعة من القضايا نستطيع ان ندرجها تحت القضايا النقدية مثل الذي أشار اليه د. عبد المحسن في المقدمة ، مثل وحدة القصيدة التي تكلم عنها قليلا . اتفق معه في كل هذا لكنني خفت من النسبة .

اعتقد ان النسبة للنقد التفسيري اكثر في القسم الاول من النقد بمعناه التقييمي أو التقويمي ، لكن هناك مثلا خلاف واضح بين التساهمين . القسم الفزلي الصادر عن موقف الشك الذي وفقه طه حسين من الشعر القديم جملة وفي الادب الجاهلي والشعر الجاهلي خصوصا . القسم الآخر هو القسم الجاهلي وذلك الموقف الغريب يصدر عن موقف الثقة ، فنحن تكاد لا نجد الآن اشارات للانتحال في بعض القصائد ، لكن نجد تصديقا تاما للقصائد التي تعرض لها وعرضها امامنا ولا نجد شيئا يتصل بهل هناك انتحال، هل هي قصيدة صحيحة ، مع ان موقفه من الادب الجاهلي يكاد يرفض الشعر الجاهلي جملة . فالحديث في التسمية مغاير تمام المغايرة ، وذلك من الامور التي تستحق التعليل .

بالنسبة لمسألة التاريخ الادبي التي اشار اليها د. عبد المحسن بحق هي فصول نشرت على مدى عشر سنوات وعلينا ان ننتبه الى التطور الذي اصاب فكر طه حسين في هذه السنوات العشر ، لكن على أية حال مع تسليمي بالاعتداد بوجهة د. عبد المحسن الا اني ارى ان طه حسين يصدر عن خطوط عامة لمنهج غربي في القرن التاسع عشر، وعلينا ونحن نتتبع عمله في وضع الفروض الحديثة لعلوم الادب ولحاولة وضع منهج للبحث في كل ميدان ان نحدد باستمرار ملامح منهجه العام على الرغم من اثبات ضرورة تتبع نمو هذا المنهج في ظل ملامح فكرية وتاريخية واجتماعية جعلت د. طه حسين يطالب بالتبشير بامر ويرجع عن التبشير بامر . وعندني ، مواصلة لفكرة د. عبد المحسن نفسها ، ان هناك فرقا واضحا بين الموقف والمنهج . لطه حسين موقف بالنسبة للتراث العربي وهذا الموقف يمكن ان نسميه بموقف النقد والتقويم لهذا التراث . ولعل طه حسين فتح الباب واسعا حقيقة للوقوف من هذا التراث موقف النقد والوقوف على القيم المتقدمة

الإيجابية وإبراز الكنوز الدفينة في ذلك التراث .

ان يستخدم أدواته جيدا فيما يريد ان يذهب اليه وان كانت هذه الأدوات لا تتيج مزيدا من المراجعة للنصوص . الكثير من كتبه الفت حين كان في باريس ولم يكن معه المراجع بل حمل ديوان الشعاع وركز على النظر في هذا الديوان وأخرج لنا العديد من الدروس العظيمة من خلال المراجعة المتأنية الشديدة لكتاب وحيد . ولم تكن له نفس الفرصة التي يمكن ان تتاح لغيره ربما لو كانت لست أدري مدى المساهمة التي يمكن ان يساهم بها الرجل في تاريخنا وقتها .

د. تليمة : هذه النقطة في التمييز بين أفق العالم وأفق الرائد تنفق جميعا عليها بل اننا يمكن ان نختلف مع بعض من نتائج د. طه حسين او نختلف مع كثير من هذه النتائج لان أدوات العالم في كل من علوم الادب المختلفة يمكن الا تكون قد توفرت للرجل نتيجة لظروفه ، لكن الذي نجتمع عليه ويجمع عليه جيلنا ان أفق الرائد كان خصبا ، هو رائد الطريق في كل ميادين الادب بل انه راد الطريق الى كل مجال ثقافي عام في ميدان الدرس الادبي . حقيقة ان الاجيال من بعده تعلمت عليه لكنها تجاوزته في بعض ما وصل اليه ، لكنها استفادت بكثير مما قدم وفتحت الابواب والسبل اليها كثير من نتائجه الآن قضايا طرحت لتحفز الدارسين الى مزيد من البحث ، ولكنها في ذاتها يمكن ان تكون تاريخية في الفترة التي نشر فيها طه حسين وأرسي أصوله ومبادئه وعمله في شموله ، بل اننا نقول اننا حين نتجاوزة احيانا في بعض الدراسات فاننا نتجاوزة ايضا بفضله وبفضل ما قدم لنا من هذا التراث الذي نحاول استكمال ما بدأ فيه .

ثم قضية المنهج ، وعندني ان المنهج عند طه حسين منهج واحد هو منهج النقد التاريخي او المنهج التاريخي في تاريخ الادب والمنهج الجماعي في النظر الى النص او التعامل معه . طه حسين في التعامل مع النص يأخذ في التحليل والشرح والمقارنة ، لكنه في اطار ما يصطلح عليه بالمنهج البلاغي الجمالي او المنهج اللغوي والبلاغي والجمالي في نفس الوقت ، أي الذي يأخذ بالنص وحفائق تشكيله داخلنا . في التاريخ الادبي يأخذ في تسميته بالمنهج النقدي التاريخي . وتدعيما أيضا لوجهة د. عبد المحسن في تحديد منهج طه حسين يمكن ان نقرأ نفس النص الذي حيد د. عبد المحسن من ان الادب الصالح لبناء الثقافة العربية الحديثة ينبغي ان يثير ويحفز على هذا الشعور ضرورة ان تكون نهضتنا الحديثة تواصلنا للصالح من تراثنا القديم . ويقول طه حسين : « نحن لا نريد ان يظل الادب القديم في هذه الايام كما كان من قبل لاننا لا نحب القديم من حيث هو قديم ونهفو اليه متأثرين بعواطف الشوق والحنين بل نحن نحب لادبنا القديم ان يظل تواقا للثقافة » .

ولانه أساس الثقافة العربية فهو اذن مقوم لشخصيتنا محقق لقوميتنا عاصم لنا من الفناء في الاجنبي معين لنا على ان نعرف انفسنا ، فكل هذه الخصال أمور لا تخضع للشك ولا يجب فيها المراء ، وفي ذلك يجب ان يظل ادبنا القديم أساسا من أسس الثقافة الحديثة لانه صالح لان يكون أساسا من أسس الثقافة الحديثة . أرى هنا فهما حديثا بالفعل في النظر الى التراث القديم ، وضرورة ان يكون مهادا عريفا لكل بناء جديد .

د. نصار : يكفي ان يظهر طه حسين في هذا الكتاب كما وصفه د. تليمة ، وكما نتبين فعلا صورة واضحة للدكتور طه حسين في « حديث الاربعة » رجل محب للتراث القديم ولكن ليس الحب الاعمى وانما هو محب لان يكون القديم أحد الاسس التي نستلهمها في بناء الحديث ، ولكن ايضا كيف نفهم القديم ، كيف نصل اليه ، نزيل المقدسات التي شوهت هذا القديم ويعرض القديم في صورة من اطار العصر الذي وجدت فيه ، صورة هو يتصورها حقيقية وهي لامعة مشرقة في ذهنه .

يكفي طه حسين ان يقدم لنا هذه الصورة في هذا الكتاب ليكون رائدا من رواد الثقافة العربية القديمة والحديثة ، ففي تصوري انه اول من فعل ذلك ، اول من قدم التراث القديم في صورة مقابلة عما كانت عليه وصورة مشرقة تمام الاشراق امام القارئ الحديث .

د. عبد المحسن : أنا أريد ان أشير اشارة سريعة للنقطة الثانية التي أشار اليها الأستاذ ابراهيم عن أدوات د. طه حسين وظروفه . والواقع اننا لو احسنا الظن - وينبغي ذلك احيانا - فانه قارئ لا يستطيع ان يراجع ما كتب . وفي هذا الاطار لا تبو الصورة بالنسبة للغير كما الصورة بالنسبة اليها ، اذ يستطيع الانسان ان يراجع ما كتب اكثر من مرة . بل اني اذكر في الكتاب انه اشار الى انه سيبقى شعر مجنون ليلى على حياته ليثبت ان مجنون ليلى لم يكن موجودا وهو زعم لم يقل به . ربما كان هذا راجعا الى انه نسي انه خرج علينا بهذه القضية او انه ارادها . ربما كان ذلك راجعا لظروفه . ويمكننا من ناحية اخرى ان نقول ان هذا ذكاء كبير لانه سبق وان صنع ببراعة مثل هذه الاشياء ، وانه حين أحس ان قياس شعره على حياته ربما لا يعطيه النتيجة المطلوبة ، ربما أغفل ما سبق ان اشار اليه ، غير اننا في ذلك نلاحظ عقلا حادا يستطيع

روايات ومسرحيات مترجمة

من منشورات دار الآداب

الآن بيتون
نيكوس كازنترافي
البرتو مورافيا
البرتو مورافيا
غوستاف فلوير
موريس ويست
أريك سيفال
بيار دوشين
البير كامو
ماريو بوزو
قاسكو براتوليني
هنري باربوس
لوركا
مارغريت دورا
جان بول سارتر
« «
» »
» »
» »

ابك بابلدي الحبيب
زوربا
أنا وهو
الانتباه
مدام بوفاري
السفير
قصة حب
الموت حيا
الموت السعيد
العراق
الشوارع العارية
الجحيم
ماريانا
هيروشيما حبيبي
نساء طراودة
تمت اللعبة
مسرحيات سارتر
الغشيان
دروب الحرية ٣/١